النَّصُّ – مُقاربة في أصول المصطلح وتحولات المفاهيم

أ.د. بغداد عبد الرحمن
المركز الجامعي بمغنية
abderrahmane-beghdad@hotmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/06/05	2019/06/09	2020/06/05

مُلخص البحث

ليس أمراً هيناً على أي باحث تعريف مصطلح "النص"، سواء في مظانه الأولى في الثقافة العربية، أوفي ارتحالاته إلى الثقافة الغربية بفعل النقل أوالترجمة. وذلك عائد إلى الفضاء المعرفي الذي نشأ في حضنه هذا المصطلح، وساهم في توسيع مفهومه وتحديد مساراته من جهة. وإلى كون المصطلح ذاته – من جهة أخرى – يشكل المادة الحقيقية للعملية النقدية الإبداعية من منبعها "المبدع" إلى مصبها "المتلقي".

وفي هذا الإطار، تحاول هذه الورقة البحثية أن تدلوبدلوها في تتبع تأصيل مفهوم "النص" على مستوى مرحلتيْن: الأولى تمثلها الجذور العربية القديمة والحديثة، والمرحلة الثانية تمثلها الدراسات الأوربية الحديثة، آخذةً بنظر الاعتبار المستويات المتعددة التي مرَّ به المصطلح في تاريخه بدْءاً بالمستوى اللغوي وصولاً إلى تحول "النص" إلى حقل تفاعل الكثير من الدلالات.

– **الكلمات المفتاحية**: النص– المتلقي – المبدع – البنيوية – السيميائية

Résumé

Not easy for any researcher to define the term "text", both in his habitats first in Arabic culture, or in his departures into Western culture by transfer or translation. Due to cognitive space that has emerged in his lap this term and contributed to expanding its concept and specify paths. And the fact

that the term itself – on the other hand the article is real cash process creative source "creator" to her mouth "reader".

In this context, this paper tries to dangle their contribution in tracking the concept of "text" in two phases: the first represents the ancient and modern Arabic studies, and the second stage represented by modern European studies, taking into account the various levels of the term in its history starting with language level down to the "text" field the interaction a lot of semantics.

- **Keys words**: Text – receiver – creator – structural – semiotics.

– مقدمة:

يمكن القول بأنه ليس هناك مصطلح شد انتباه الدارسين والنقاد ولحقبة زمنية طويلة مثل مصطلح "النص"، ويعود السبب في ذلك إلى كونه من أكثر المصطلحات التي تعددت تعاريفه إلى درجة تداخلها مع مصطلحات ومفاهيم مختلفة ولامتناهية. وهذا ما جعله يحتل صدارة الدراسات النقدية واللغوية والأدبية الحديثة والمعاصرة. وبناء على ذلك، تمضي هذه الدراسة لاستقراء مفهوم "النص" على مستويات متعددة بدءاً بالمستوى اللغوي وصولاً إلى تداخل المصطلح مع كثير من اتجاهات الفكر الإنساني. وتحاول أيضاً استقراء الآراء في الثقافتين العربية والغربية، التي عني أصحابها بمفهوم "النص" وذلك من خلال الإجابة على جملة من الأسئلة:

– ما هو النص؟

– هل عرف العرب القدامى هذا المصطلح؟

– وهل للنص مفهوم غربي؟

– وهل تتعارض دلالته الغربية مع الدلالة العربية؟

1. مفهوم النص عند علماء العربية:

1.1 القدامى:

تُجْمِعُ المعاجم العربية، قديمُها وحديثُها، على أن "النص" معناه العلو والارتفاع والظهور والبروز، يقول ابن منظور مُؤكِّداً هذا المعنى: "النَّصُّ رَفْعُك الشيء نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً رفَعَه وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ"[1] ، وقال عمرو بن دينار: ما رأَيتُ رجلاً أَنَصَّ للحديث من الزُّهْري أَي أَرْفَعَ له وأَسْنَدَ[2]. وإلى المعنى ذاته يشير صاحب معجم المحيط الذي يُطْلَق مصطلح "النص" على كل ما ظهر واشتهر[3]. أما الجرجاني فيعرفه بقوله: "النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى"[4]. ومن هنا يتضح لنا أن المفهوم اللغوي الشائع لمصطلح النص – عند علماء اللغة العرب – إنما حُصِر في مدلول الإظهار والإبانة وبلوغ القصد في شيءٍ ما في حين حصره الفقهاء في نصِّ الحديث أو الآية التي تعني ما هو ظاهر اللفظ من أحكام.

لقد اهتدى علماء العربية في وقت مبكر من تاريخ العلوم البلاغية واللغوية إلى ما يحُفُّ مصطلح النص من مفاهيم، ولعل محاولاتهم التأسيسية الأولى لتحديد معنى النص انطلقت من رؤيتهم لفكرة الإعجاز في القرآن الكريم ومدى ارتباط الفكر النقدي والبلاغي بمضامينها، فجاء مفهومهم للنص مُؤسساً وقائماً على عدة مصطلحات

هي: النظم والمشاكلة والرصف والائتلاف والبناء[5]. ولعل مثل هذا التنوع في وظائف النص هوالذي أفدى بالنقاد العرب إلى التعصب للفظ تارة، وتفضيل المعنى حيناً، بل وذهب آخرون إلى القول بتلازم اللفظ والمعنى وتضافرهما معاً. ومن العلماء العرب الأوائل الذين قدموا لنا عطاءات أسهمت بشكل بارز وواضح في تحديد مفهوم النص، الإمام **الشافعي(ت204 ه)** الذي كان ضمن سلسلة طويلة من الأصوليين الذين كان لهم الفضل في لفت الأنظار إلى دلالة مصطلح "النص"، وذلك من خلال معرفته الدقيقة باللغة العربية وأساليبها التعبيرية، كما كان على اطلاع على المجادلات الكلامية التي عرفها عصره، يقول موضحاً ذلك كله: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خُوطِبَ به فيه وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهرة"[6].

لا شك أنَّ هذا التعيين الدقيق لمنافذ المعرفة، وهذا التقسيم الواضح لأصناف اللفظ والدلالة، يؤكد أن الشافعي كان ذا وعي لغوي كبير بمستويات الكلام، وهوما جعله حقيقة في طليعة العلماء الذين وضعوا منهجاً بيّنا في استنباط الأحكام بالنظر الدقيق لظاهر الخطاب اللغوي وباطنه. وفي العصر ذاته برز عَلَمٌ من أعلام البلاغة والبيان ألا وهو **الجاحظ (ت225 ه)** الذي عُدَّ: "أول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقدر أن الكلام هو المظهر العملي لوجود اللغة المجرد، ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه، بالإضافة إلى الناحية اللغوية المحضة، جملة من العوامل الأخرى كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر عبر اللغوية (Extra linguistique) من روابط" [7]. وقد وقف الجاحظ عند كل تلك الضوابط حين عرف البيان بقوله إنه: "الدلالة الظاهرة على المعنى" [8]، ثم بين الصفات التي تكتمل بها بنية النص مجسدة في: "الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجية الكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد" [9]. وهو في كل ذلك يضع الأناقة والجودة والجمال في الألفاظ، فمقياس قيمة النص أدبياً – عند الجاحظ – إنما يقوم على جزالة اللفظ، وجودة السبك، وحسن التركيب. ولعل هذا الامتياز العام لبنية النص هو الذي مكَّن الجاحظ من تقسيم الكلام إلى قسمين عادي وأدبي في قوله: "كلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايَبُوا"[10]. وتأسيساً لما سبق، يكون الجاحظ قد ضبط خصائص صياغة النص ومعاييره البلاغية في قيمة اللفظ، وبذلك يكون له السَّبْق عن غيره من البلاغيين العرب في اختيار المقاييس الكفيلة لبناء النص.

ونجد النص عند **ابن قتيبة (ت276 ه)** ينطلق من الجمع بين اللفظ والمعنى كمقياس للكلام وميزاناً لقيمته الفنية، لذا رأى أن الشعر يسمو بسموهما وينخفض تبعاً لهما. وقد اشتهر ابن قتيبة بقسمته للشعر إلى أربعة أضرب:

1. ضرب حَسُنَ لفظه وجَادَ معناه.
2. ضرب منه حَسُنَ لفظه وحَلاَ، فإذا فتَّشْته لم تجد هناك فائدة في المعنى.

3. ضرب منه جاد معناه، وقَصُرَتْ ألفاظه.

4. ضرب منه تأخر معناه، وتأخر لفظه [11].

في حين دعا **ابن طباطبا (ت322 ه)** إلى ضرورة تحقيق الانسجام وحسن النسج بين اللفظ والمعنى ليكون الكلام كالكلمة الواحدة، لذلك وضع شرط حسن اللفظ واعتدال الوزن متمشياً مع لذة السمع، وضابط الصحة في المعنى مسايراً لشرط الذهن لقبول الخطاب – حسب رأيه – وإن كان كمال القبول يتحقق بأن يكون الكلام سالماً من جور التأليف موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً[12]. وهذا ما يترتب عليه في النهاية فهم آلي لعملية الإبداع: "باعتبارها عملية تقوم على مراحل متعاقبة أولها مرحلة التفكير ثم مراحل الصياغة" [13].

وعلى النهج نفسه، سار **قدامة بن جعفر(ت337 ه)** حين سَوَّى بين اللفظ والمعنى سواء في حالة الحسن أو القبح حيث تحدث عن اللفظ والمعنى وجعلهما قسمين في تحمل مظاهر القبح ولامح الجودة فيما أورده من آراء في عيوب الألفاظ والمعاني، ولعل هذا دلَّ عليه باستعماله المؤتلفات الأربعة:

1- ائتلاف اللفظ مع المعنى.

2- ائتلاف اللفظ مع الوزن.

3- ائتلاف المعنى مع الوزن.

4- ائتلاف المعنى مع القافية [14].

وفي موضع آخر، يجعل من المعاني مادة جاهزة للنص، وتبقى للشاعر مهمة تصويرها بتدبر الألفاظ المؤتلفة معها حيث يقول: "المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر من غير أنْ يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة" [15]. وإذا كان الكلام البليغ يتحقق اعتمادًا على هذه الأشكال المكونة لعناصر النص، فهناك مبدأ أساسي – في نظر ابن جعفر – يتيح للنص أن يخرج مُنسجماً مُتناغماً هو أن يكون: "مُؤلف الكلام البليغ الفصيح، واللفظ المسجع الصحيح كناظم الجوهر المرصع، ومركب العقد الموشح، يعد أكثر أصنافه، ليسهل عليه إتقان رصفه وائتلافه"[16]

ومراعاةً للترتيب الزمني، انطلق **الرماني (ت386 ه)** في تحديده لماهية النص من تعليله للإعجاز القرآني فالنص البليغ عنده يقوم: "على إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" [17]. وبذلك يشير إلى قضية مهمة، وهي ارتباط النص بأطراف العملية التواصلية من باثٍّ ومتلقٍ ونص عن طريق تأثير النص في المتلقي ويعني هذا أن النص يفترض في الأساس متلقياً يجب أن يتكيف معه لتتم عملية التواصل بشكل مفيد. ثم يكشف لنا الرماني عن دور الأثر النفسي في النص أي إلى علاقة القارئ بالنص الذي تذهب فيه النفس في كل مذهبٍ[18]. ليربط النص في الأخير بحسن التأليف حيث يقول: "أما دلالة التأليف فليس لها نهاية ولهذا صحّ التحدي فيها بالمعارضة لتظهر المعجزة، ولو قال قائل: قد انتهى تأليف الشعر حتى لا يمكن أحداً أن يأتي بقصيدة إلاَّ وقد قِيلَتْ فيما قِيلَ، لكان ذلك باطلاً، لأن دلالة التأليف ليس لها نهاية" [19].

وفي سياق الحديث عن النظم أيضاً، صنف **الخطابي (ت388 ه)** النص إلى ثلاثة مستويات هي:

– **الأول**: الكلام البليغ الرصين الجزل.

– **الثاني**: الفصيح القريب السهل.

– **الثالث**: الجائز الطلق المرسل.

"فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كل منهما على الآخر" [20].

وبناءً على ما تقدم، فحدُّ النص عند الخطابي ممثل في لفظٍ حاملٍ، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وبهذه العناصر الثلاثة حصل الإعجاز القرآني الذي ارتبط بقدسية هذا الدين الكريم.

وجاء تحديد **أبي هلال العسكري (ت395 ه)** لمفهوم النص في "الصناعتين" من منطلق بلاغي، حيث رأى تقسيم الكلام إلى مستويين: "مستوى إعجازي قدسي، وهو كلام الله (القرآن الكريم)، ومستوى بلاغي إنساني بشقيه: الكتابة والشعر. وجاء المستوى الأول معجزاً بما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وما ضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمة وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنة التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها"[21]. وانطلاقاً من هذا الطرح كان النص عند هذا البلاغي وفق التشجير التالي:

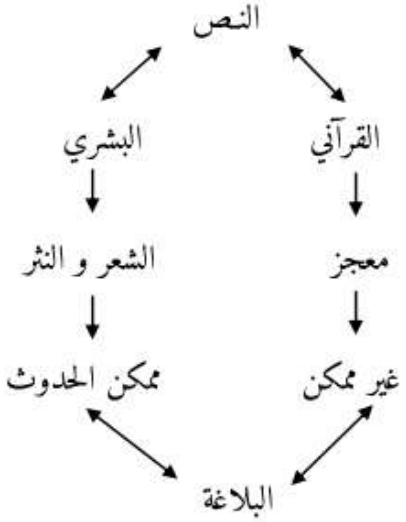

وبناءً على هذا التصور، فإن النص عند العسكري ينطلق مما هو موجود في الواقع ليؤسس للنص الممكن الوجود أو المتوقع حدوثه أو المتخيل، فهناك النص الإلهي المعجز والذي لا يمكن الوقوف على خصائصه الجمالية والفنية إلا بالرجوع إلى البلاغة، فهي التي تكشف على أنه نص متميز لا يمكن الإتيان بمثله، وهناك النص الإنسي، وهو نص ممكن الحدوث ويستطيع الإنسان الإتيان بمثله، بل قد يتفنن فيه ويتحكم في ذلك. ثم كان النص عنده صناعتين: شعر ونثر[22].

ثم يذهب العسكري إلى تحديد مفهوم النص انطلاقاً من ثنائية اللفظ والمعنى في سياق التأليف والصناعة فلا خير في اللفظ إن لم يحمل معنى، ولا فائدة في معنى إن لم يحسن اختيار لفظه. يقول العسكري عن حسن التأليف ودوره في التعبير: "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبباً، ورصف الكلام ردياً لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة وإذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيداً كان أحسن موقعاً وأطيب مستمعاً" [23].

وكان **الباقلاني (ت 403 ه)** من الموفقين كثيراً في الوقوف عند نظرية النظم لتحديد تعريفٍ للنص، وقد انطلق من أن النص القرآني مُعجزٌ بنظمه حين خروجه عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب. وفي ذلك يقول: " فأما شأْو نظر القرآن، فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً، كما يتفق للشاعر البيت النادر، والكلمة الشريدة والمعنى الفذ والشيء القليل العجيب " [24].

ثم يقف الباقلاني عند فكرة أساسية توضح لنا أكثر تصور الرجل لمفهوم النص، وذلك حين يطرح مفهوم العادة والمألوف في كلام الناس، إذ يقول: "ولوكان غير خارج عن العادة، لأتوا بمثله وعرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه. فلما لم يشتغلوا بذلك، عَلِمَ أنهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم"[25]. وبهذا استطاع الباقلاني أن يحُدَّ النص بحدود فنية تميز النظم القرآني عن النظم الشعري المألوف في كلام الناس، منطلقاً من أن نظم القرآن الكريم جنس متميز أحكم نظمه بعناية فائقة واختيرت ألفاظه اختياراً يضمن له التفرد.

أما **ابن رشيق(ت456 ه)** فقد اعتبر اللفظ والمعنى شيئاً واحداً متلازماً ملازمة الروح للجسد، فلا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال، حيث قال: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه (...) فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه "[26]. ومن هنا، إذا كانت عناية الشعراء بالألفاظ إنما هو عناية بمعانيها أيضاً: "لأن التفكير في اللفظ والمعنى تفكير جملي يفكر فيه الأديب مرة واحدة وبحركة عقلية واحدة، فإذا رتبت المعاني في الذهن ترتيباً منطقياً، وإذا تحددت في الفكر تحديداً يجمعه ترابط المعاني وتداعيها، هذا الترابط وهذا التداعي الذي يرضاه المنطق أو يرضاه حسن الأديب، انحدرت هذه المعاني على اللسان بألفاظها الملائمة بها خطابة، وانحدرت على القلم بألفاظها المطاوعة لها كتابة وشعراً من غير تهذيب واختيار لهذه الألفاظ"[27].

في هذا الصدد يذهب **الخفاجي (ت466 ه)** إلى أن النص هو نتاج صناعة تشترط خمسة عناصر حتى تأتي على أحسن وجه يقول: "إن كل صناعة من الصناعات كمالها بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء: الموضوع وهو الخشب في صناعة النجارة، والصانع وهو النجار، والصورة وهي كالتربيع المخصوص إن كان المصنوع كرسياً، والآلة مثل المنشار والقدوم وما يجري مجراهما، والغرض وهو أن يقصد على المثال الجلوس فوق ما يصنعه" [28].

ثم يرتبط الخفاجي هذا المفهوم بمفهوم الفصاحة والبلاغة، فالفصاحة عنده هي: "نعْتٌ للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط

من الوصف، وبوجود أضدادها تستحق الإطراح والدم وتلك الشروط تنقسم قسمين: فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ وتؤلف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض" [29]. ومن هنا فالفصاحة عند الرجل هي حسن التأليف في الموضوع المختار، ويكون النص عنده هو ذلك الكلام الذي يحقق مبدأ الفصاحة كما قال.

أما **عبد القاهر الجرجاني (ت471 ه)** فقد تميز عن غيره من النقاد في رؤيته إلى آلية التأليف الشعري أو الأدبي التي أرسى انطلاقاً منها نظريته الموسومة بـ "النظم" في كتابَيْه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" والتي من خلالها جاء تعريفه للنص. فهولا يتصور نصاً إلا من خلال النظم الذي يُعرِّفه بقوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها" [30]. بهذا أضحى مفهوم النص عند الجرجاني مرتبطاً بمدى تحققه على مستوى النظم المرتبط بالصيغ والكلمات، وعكوفه على قوام الشعر أو بنيته من أجل البحث عن " نحو" العقل العربي وتغيره.

ويعقد الجرجاني علاقة وطيدة بين النظم وبين المفاهيم التي تتقاطع مع هذا المفهوم المركزي للنص. فإذا كان النص – عنده – بمثابة نظم الكلام، فإنه يبقى أيضاً نظيراً للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير [31]. وفي موضع آخر يرى:"أنْ ليس النظمُ شيئاً غيرَ توخّي معاني النحو وأحكامِه فيما بينَ الكلمِ وأنَّا إنْ بقينا الدهرَ نُجهدُ أفكارَنا حتى نعلمَ للكلم المفردةِ سِلْكاً ينظمها وجامعاً يجمعُ شملَها ويؤلِّفها ويجعل بعضَها بسببٍ من بعضٍ غيرَ توخّي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كلٌّ محالٍ دونه" [32]. وهذا إشارة إلى أنَّ نموَ الكلمات – عند الجرجاني – دائمٌ، وأنَّ الكلمات طاقات تتعدد إلى ما لا نهاية، لكن يبقى ارتباطها بمسائل النحو أبدياً وأيُّ تنظير للنص إنما يصُبُّ في ذلك الاتساق الذي أراده: "أن يكون وصفياً ينطلق من النص لا استدلالياً ينطلق من معايير جاهزة سابقة للنص" [33].

وكان **الزمخشري (ت538 ه)** بحق خير متمم لما جاء به عبد القاهر، حيث قدم تصوراً عاماً لمشروع قراءة النص الذي منه جاء تصوره لمفهوم النص المؤسس على نظرية النظم. ويقوم مفهوم النص عنده على: "التربية الفنية تربية الذوق والإحساس والشعور بممارسة النصوص الأدبية ونقدها والتعرف إلى مواطن القبح والجمال فيها، فإذا ما أَلِفَ الذوقُ النقدَ مارس النص القرآني باحثاً عن الجمال فيه في نظمه حيث يكمن سر إعجازه وما النظم إلا معاني النحو التي ألفت بين كلماته وآختها"[34]. كما اشترط بالإضافة إلى الجانب المعرفي المفترض وجوده في القارئ، معرفة بعلم المعاني وعلم البيان المرتبطين بالقرآن، كثرة المطالعات وطول المراجعات، وحسن تصرف ودراية بأساليب النظم والنثر، ليعلم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف [35].

نستنتج مما سبق، أن النقاد والبلاغيين العرب القدامى قد بذلوا مجهودات كبيرة قصد تحديد مفهوم النص في بعده النظري والتطبيقي، حيث جاء تنظيرهم للنص انطلاقاً من تعليلهم للإعجاز القرآني، ومن منظور ثنائية اللفظ والمعنى، وقد كشفوا لنا عن مستوى من المعالجة اعتمد على جمع عناصر النص وصفاته المؤهلة لإعجاز الكلام وبلاغته. وبذلك أصبح النص ضرورة معرفية وحضارية تتحقق من خلاله أهداف كثيرة منها: "حفظ الأفكار

بالتقييد والتسجيل وإراحة الذاكرة من التفكير والتركيز ونقل المعرفة بين الناس، ثم حفظها للأجيال اللاحقة " [36].
ويمكن اعتبار هذه المجهودات التي بذلها الغرب في محاولة تحديد مفهوم النص إرهاصات جادة للتوجهات النقدية التي عرفها الفكر النقدي الأوربي المعاصر.

2.1 المحدثون:

لقد حدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات النقدية القديمة في العصر الحديث، واتخذت أبعاداً أخرجتها من تلك الدراسة "الأولية" ووسعت مجال البحث فيها، ومصطلح "النص" هومن ضمن تلك المصطلحات التي تبلورت مفاهيمها في العصر الحديث وشملت الدراسة فيها ميادين عدة فقد أضحى مفهوم النص ملتقى لاهتمامات كثير من الدراسات والمعارف الإنسانية، فقد عرفه لنا **عبد الملك مرتاض** قائلاً: "النص مثلاً في أصل الاشتقاق في اللغة الفرنسية يعني النسيج فكأنه نسج للكلام الناشئ عن فعل الكتابة التي تشبه في بعض وجوهها عملية الناسج حين ينسج"[37]. لكن عبد الملك مرتاض لم يتوقف عند الأصل اللغوي كما أوردته المعاجم الغربية بل اجتهد في بحث تجليات المصطلح والمفهوم، وقد توقف عند فكرة أنه لا يوجد في التراث اللغوي العربي ما يشير إلى مصطلح " النص "، اللَّهمَّ إلاَّ ما عبر عنه نقاد العرب القدامى أثناء حديثهم عن " النظم " أو" الإعجاز القرآني".
ويقول في هذا المعنى: "وقد حاولنا أن نعثر على ذكر للفظ النص في التراث العربي النقدي فأعجزنا البحث ولم يَفْضِ بنا إلى شيء، إلا ما ذكر أبو عثمان الجاحظ في مقدمة كتابه "الحيوان" من أمر الكتابة بمفهوم التسجيل والتقييد والتدوين والتخليد، لا بالمفهوم الحديث للنص" [38].
بل وقد أتى على الكاتب أن وسع من دائرة النص دلالةً ومفهوماً مما أدى إلى تعدد تعريفات النص، حيث يقول: "إنَّ الإيقاع الموسيقي نص واللوحة الزيتية نص، والشريط السينمائي نص، والمشهد التمثيلي نص، وهلُمَّ جرى" [39]. وقد تناولت الدراسات الأدبية ومختلف أنواع الخطابات مفهوم النص رجاءَ تحديد مجالاته الإجرائية، إلا أنَّ تعدد تعريفاته الخاصة والعامة حال دون وضع تعريف دقيق له، هذا ما دعا **محمد مفتاح** إلى وضع تعريف شامل للنص باعتباره: "مُدونةَ حدثٍ كلامي ذي وظائف متعددة" [40]. وقد آثرَ شرح هذا التعريف وفق الآتي:

- مدونة كلامية: يتألف من الكلام لا من أشياء أخرى غير الكلام.
- حدث: بمعنى أنه يقع في زمان ومكان محددين لا يعيد نفسه مثله مثل الحدث التاريخي.
- تواصلي: بمعنى أنه يهدف إلى إيصال معلومات ونقل خبرات وتجارب مختلفة إلى المتلقي.
- تفاعلي: أي أنه يؤدي وظيفة تفاعلية ويقيم علاقات بين أفراد المجتمع ويحافظ على ذلك.
- مغلق: أي أن له نقطة بداية ونقطة نهاية.
- توالدي: أي أنه سلسل أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية وتنبثق منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له [41].

ويؤكد **صلاح فضل** هو الآخر مدى تعدد التعريفات حول مفهوم النص حين يقول إنَّ: "هناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص (Texte) بصفة عامة. وأخرى تُبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أنماطه المتعينة، خاصة

الأدبية. لكننا لا نصل إلى تحديد واضح قاطع بمجرد إيراد التعريف، بل علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة" [42].

ولاشك أن هذا التنوع في التعريفات يدل على عدم استقرار مفهوم النص من جهة، وتباين طرق معالجته ضمن حقول معرفية مختلفة، مما جعل جهود النقاد مثلاً تبحث في صلة النص بالجملة حين اعتبرت: "كل وصف للجمل يجب أن يتضمن داخله وصفاً للنص (...) فالنص يمكن أن يتكون من جملة واحدة وأحياناً من كلمة"[43]. ومن هنا جاء اهتمام النقاد ببنية الجملة داخل النص باعتبارها أصغر وحدة أدبية في نظام الشفرة اللغوية لأيِّ جنس أدبي مدروس، ولعل حُظوة هذه الوحدة اللغوية جاءت بسبب: "تناسقها وتلاؤمها مع الأفكار والجمل الأخرى التي ترتبط معها بعلاقة يمكن إدراكها"[44].

غير أنَّ الجملة قد تستقل بدلالتها داخل النسيج الدلالي للخطاب وهذا لا يعني نفي أية صلة بينها وبين السياق العام للنص بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي للجمل الأخرى داخل النص الواحد. وهذا ما يبيّنه **عبد السلام المسدي** بقوله: "فالنص بأكمله مجال دلالي واحد، والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي" [45]. وإضافة إلى هذه المتتاليات الجملية داخل النص، يشير الدرس النقدي الحديث إلى وظيفة أخرى للنص تتحدد وفق موقعه داخل سياق الكلام، ألا وهي وظيفة الانفتاح على الإمكانات التعبيرية التي تمنحها اللغة، وأيضا الانفتاح على مختلف نصوص الجنس الأدبي، وهذا ما أشار إليه **مصطفى السعدني** بقوله: "إن النص في ذاته، لا يمكن أن يتصف بالثبات أو ينحصر في مدلول واحد جامد، إنه يتحول في جانب منه إلى شبكة من المستويات المتصارعة داخلاً، كما يتحول في جانبه الآخر إلى نص موجود في عالم"[46].

وبناءً على هذه الطروحات كلها، ننتهي إلى القول بأن مفهوم النص يبقى يمثل فتحاً جديداً ليس فقط في الدراسات النقدية واللسانية بل وفي البلاغية والعقائدية منها أيضاً. بيد أنه للوصول إلى دلالةٍ معاصرةٍ لهذا المصطلح يستلزم علينا ألا نعزل النص عن سياقه الحيوي الذي نشأ في أجوائه وتأثر بمناخه المعرفي، وذلك حتى نتمكن من التعرف – من خلال النص– على القيم الثقافية والممارسات الفكرية لمجتمعٍ محددٍ.

2. <u>مفهوم النص عند الغربيين</u>:

أصبح تحديدُ مفهومٍ دقيقٍ لمصطلح النص "Texte" من المهمات الصعبة التي يواجهها النقد الحديث، ولعل السبب في ذلك يعود إلا أنَّ هناك تعريفات متعددة تشرح مفهوم النص بصفة عامة، بينما تعريفات أخرى تحدد أهم الخواص الماثلة في بعض أنماطه الأدبية. هذا ما حال دون وضْعِ تعريفٍ جامعٍ مانعٍ. ولعل ذلك راجع أيضاً إلى طابع النص المتغير في حدِّ ذاته والمنطلقات النظرية والخلفيات المعرفية التي انطلق منها النقاد المحدثين في تأسيسهم لتعريف النصّ. حتى إنك لواجدٌ مِنَ النقاد مَنْ يتغير تعريفه للنص حسب المرحلة الأدبية التي يمر بها.

أما النص " Texte" في قاموس (Robert) هو: "مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا "[47].

أما في قاموس (Larousse) فهو: "مجمل المصطلحات الخاصة التي نقرؤها عن كتاب، وهو عكس التعليقات"[48].

أما اصطلاحا فهو الكلام المكتوب في مقابل لفظ "خطاب" الذي يحيل عادة على الكلام المنطوق بغض النظر عن نوعه (حواري، قصصي... الخ) أو وظيفته (تواصلية، براغماتية، جمالية).

وفي الدراسات النقدية الحديثة، فإن تعريف النص يختلف من منهج نقدي إلى آخر، فهوفي المنهج اللساني غيره في المنهج البنيوي، حيث يحاول كل منهج أن يستأثر بهذا المفهوم ويجعل منه حجر الزاوية في مقاربته للموضوع الذي يحلله. مما أدى إلى اختلاف وجهات النظر في تعريف النص من البنيوي إلى اللساني مروراً بالسيميائي. ولهذا، فإننا –كما قال صلاح فضل– لا نصل إلى: "تحديد مفهومٍ واضحٍ قاطعٍ بمجرد إيراد التعريف، بل علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث اللسانية والبنيوية والسيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب، هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية" [49].

1.2 اللسانيون:

إنَّ مفهوم النص عند اللسانيين ينطلق من رُؤيةٍ مُؤسَّسةٍ على وظيفتَيْ اللغة والكلام، وقد جاء اهتمام دي سوسير F. De Saussure – بالكلام لأنّ ممارسة الكلام هو السّبب في تطوّر اللغة. لهذا توجه دي سوسير إلى التعريف بمصطلح اللغة باعتبارها نظاماً منتهياً من القواعد، والكلام باعتباره نشاطاً فردياً داخل هذه اللغة[50]. ثم حاول دي سوسير ناهجاً سبيل المقارنة بين المصطلحين حيث يقول: "إننا نتعلم اللغة الأمّ بإصغائنا للآخرين، إذ إنها لا ترتسم في دماغنا إلا بعد تجارب عديدة، وفضلاً عن كل ذلك فالكلام هو الذي يطور اللغة (...) فهناك إذاً تأثير متبادل بين اللغة والكلام، إن اللغة في وقت واحد هي إنتاج للكلام ووسيلة له. ولكن هذا لا يمنع كونهما شيئين متميزين كيلا الواحد عن الآخر"[51].

وهذا التحول نحو الاهتمام بجوانب اللغة، هو الذي حمل دي سوسير على البحث عن نواميس لغوية جديدة لكي تشرف على النظام الكلامي بين أهل اللغة لأن: "عالم اللسان يكون همه الوعي باللغة عبر إدراك نواميس السلوك الكلامي"[52]، وبهذا يبرز النص من خلال استعماله اللغة وتوظيف طاقتها التعبيرية وهي سمة من سمات الفرد المبدع التي تؤول به إلى اكتساب قدرة على الإنتاج وفهم جمل لم يسبق له أن أنتجها أو سمعها من قبل[53]. وإن هذه العملية المزدوجة (الإنتاج والفهم) تجبر النص –كما يقول بارت –على اختيار: "الألفاظ بدلالات جديدة، فيخلق علاقات جديدة بين هذه الألفاظ بمعنى أنَّ النص ينظم الكلمات وفق مقولات بلاغية ونحوية لم تطرق من قبل، وهذا النظم هو في الواقع إعادة توزيع اللغة لتوليد دلالات جديدة" [54].

ومن هذا الجانب، جاء اهتمام اللسانيين ببنية النص المكونة رأساً من الجملة، وبالتغير الذي يطرأ عليها من حذف أو تقديم باعتبار الكلام جملة متعدّدة الأشكال متباينة المقومات موزعة في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي، وهذا ما أَفْضَى إلى إقامة موازنة بين النص والجملة مفادها أنَّ: "مفهوم النص لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه مفهوم الجملة أو القضية أو التركيب، وكذلك هو متميز عن الفقرة التي هي وحدة منظمة من عدة جمل" [55].

وبهذا، فالنص من منظور اللسانيين يمكن أن يتحدد على مستوى جملةٍ أو كتابٍ حتى لو كانت بعض النصوص غير منتهية، وأنَّ النص عندهم يقوم على أساس استقلاليته وانغلاقه [56]. على أنه لا يمكن عزل النص عن سياقه الحيوي المركب من الجملة لأنَّ: "كل وصف للجمل يجب أن يتضمن داخله وصفاً للنص"[57]. كما أن هذا الوصف لتركيب النص، لم يمنع اللسانيين من الاهتمام بجسم وشكل الكلمات من منطلق أنَّ: "النص يمكن أن يتكون من جملة واحدة وأحياناً من كلمة" [58]. ومن ثم فإنَّ الألسنية لم تهتم بشكل الكلمات فحسب، بل أعطت لدلالة هذه الكلمات أهمية كبيرة لأن: "الكلمة هي التي خلقت النص (...) وبدلَ القول التقليدي بأن لغة المؤلف تعكس الواقع يأتي القول البنيوي بأن اللغة تنتج الواقع" [59]. وقد أشار جون مونان J. Mounin في مساق حديثه عن دلالة النصّ التي تقترن بضَرْبٍ من تركيب الألفاظ أو الكلمات، إلى أنَّ دلالة المصطلح إنما تحيل على سلسلة متتابعة من العلامات اللفظية أو الإشارات الكتابية التي تنتظم في سياق يبرز تجانسها، لذا ذهب إلى اعتبار النص المعادل للمتن (Corpus) والموازي للملفوظ (Enoncé):"لا يعني إلاّ وثيقة مكتوبة وحدها بل كلّ المتون التي يستعملها اللغوي أو الألسني" [60]. وبهذا التحول من لغة المؤلف إلى لغة النص، أصبحت قيمة النص تُقَاسُ بمختلف العمليات التي تحكم اللغة وليس بتجربة الكاتب وكلامه، ومن هنا أضحتْ مهمة عالم اللغة الحقة هي أن يدرس اللغة لا الكلام لأن دراسته للغة هي التي تمكنه من فهم المبادئ التي تقوم عليه وظائف اللغة عند التطبيق. وفي ضوء هذا التركيز على وظيفة اللغة ومدى تطورها، أضحى النّص كما يقول منذر عياش:"... طليقاً، فلوتاً، ومعتوقاً حتى من كائنه. ولم يعد هناك من سلطة عليه إلا سلطته على نفسه، ولا من رقابة إلا رقابة نظامه الذي يقوم عليه" [61].

2.2 البنيويون:

وقف رولان بارت R. Barthes عند تركيب كلمة (Texte) أي النص في دلالتها الاشتقاقية والحرفية، والتي تعني في اللاتينية "النسيج" فقال: "إن الدراسة المعجمية للكلمة تكشف أنها تدل على النسج، ومن هنا يمكن أن نقول إن نسج الكلمات يعني تركيب نص"[62]. ثم يضيف قائلاً: "إننا سنركز الآن، داخل هذا النسيج، على الفكرة التوليدية التي يتخذها النص لنفسه، وينشغل بها من خلال تشبيك دائم" [63].

ويذهب بربوتين Barbotin إلى الفكرة نفسها التي طرحها بارت حين يرى أن النص هو نسيج ولحمة مؤكداً على الطابع الخطي والتسلسلي للنص الذي يهدف إلى إنتاج دلالة معينة [64]، وبهذا نكون قد اهتدينا إلى جمالية النص التي ركزت أكبر اهتمامها حول بنية شكل النص والأنسجة الدّاخليّة له.

وبهذا الاعتبار، فالبنيوية تعرف النص من طريقة بنائه وهيئته، وبذلك يصبح النص هو نسيج كلمات منسقة ومنظمة يكمن وراءه معنى متين وراسخ يكفل للنص صياغة صحيحة. ومن هنا يقترب مفهوم بارت للنص من مفهوم النص عند "كريستيفا" عندما اعتبرت أن النص إنتاجية، حيث تقول في موضع آخر: "وهكذا سيتموقع النص في الواقع الذي يُنتجه عبر لعبة مزدوجة تتم في مادة اللسان وفي التاريخ الاجتماعي (...) فإنه يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذي يمسك به في لحظة انغلاقه" [65]. وبهذا لا يصبح النص مجْرياً كشيءٍ يمكن تمييزه خارجياً وإنما كإنتاج متقاطع يخترق عملاً أو عدة أعمال أدبية متنوعة.

إنَّ تشبيه بارت النص بالنسيج جعله يصيب الحقيقة بعينها، لأن النص هو أيضاً منتوج لعملية الانسجام والتماسك التي يقيمها النص والكاتب معاً من خلال شبكة الكلمات والجمل والمعاني التي تعطينا في النهاية نصاً. وقد ذهب بارت إلى أبعد من ذلك، حين رأى أنَّ النص هو: "المساحة الظاهرية للعمل الأدبي وهو نسيج الكلمات المستثمرة في العمل والمنظمة بالكيفية التي تفرض بها معنىً قارًّا ووحيداً قدر الإمكان" [66].

فالنص من منطلق بارت هو عبارة عن مجموعة من الألفاظ المكونة للمساحة الظاهرة من المادة التي تفيد معنىً ما، وفي الاتجاه نفسه يذهب أيضاً رومان جاكبسون حين يعتبر أنَّ شعرية النص مجسَّدةً: "في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمّى ولا كانبثاق للانفعال، وتتجلّى في كون الكلمات وتركيبها ودلالتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرّد أمارات مختلفة عن الواقع، بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة"[67].

غير أنَّ بارت لم يحصر مفهوم النص عند حدود العمل الأدبي فقط بل يتجاوزه إلى أدوات تواصلية أخرى، فإذا كان الرسم موهبة فنية خطِّية في نظر عامة الناس إلا أنه يُوحِي لنا بكثير من الكلام ومن هنا فإنَّ: "النص في المفهوم الحديث ليس بالضرورة هو النص الأدبي بالمفهوم المتداول، بل إن الإيقاع الموسيقي نصّ، واللوحة الزيتية نصّ، والشريط السينمائي نصّ، والمشهد التمثيلي نصّ، وهلم جرى" [68]. وهكذا أصبح النص دالاً لمدلول، وموضوعاً لعمليتين هما: تحققه اللساني وتأويله الدلالي، وبالتالي يتعين معالجة النص وتحليله في إطار نظرية التواصل التي يلتحم فيها كل من المرسل والمتلقي بمعية المظهر اللغوي الخارجي للنص.

وفي النهاية، يتمثل لدينا النّص في علاقة آنية واحد بين تجسّد لغوي لكائن وبين انفتاح خارج اللغة على كينونة في الغياب قصد فتح النص على فضاءات لانهائية من المدلولات التي طمسها الحضور اللغوي الآني، لكن على أن تبقى تلك العلاقة – كما قال كمال أبوديب –: "علاقة جدلية بين الحضور والغياب، لا في كليته وحسب بل على مستوى مكوّناته اللغوية أيضاً" [69]. إذن يبقى مفهوم النص عند بارت محصوراً في علاقته باللغة التي يتموقع فيها لتصبح قابلةً لإعادة توزيعها عن طريق التفكيك وإعادة البناء، فيبدو النص – بعد ذلك – وكأنه قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب الاجتماعية والتاريخية والنفسية. وقدم بارت نظريته على المربَّع الدلالي التالي [70]:

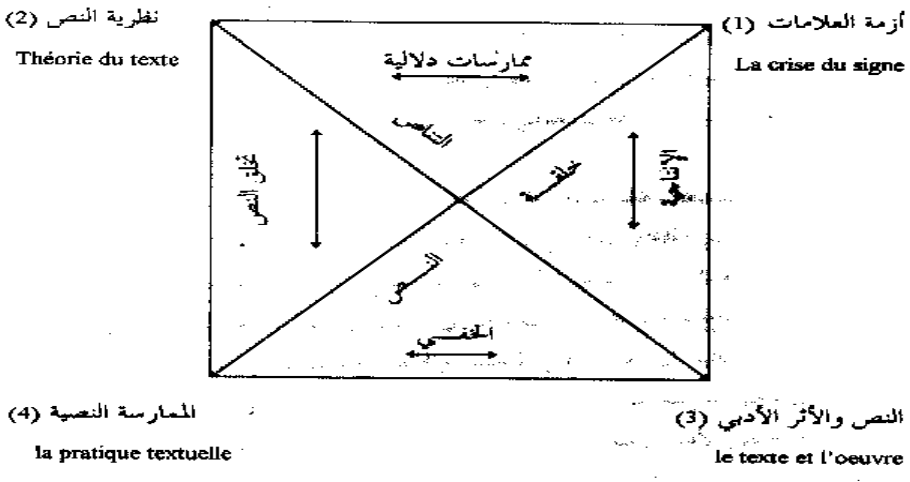

3.2 السيميائيون:

من بين المدارس النقدية الحديثة التي احتلت مكانة مرموقة في الدراسات النصية، نجد السيميائية التي ترى رائدتها "جوليا كريستيفا" (Julia Kristeva) أن: "النص بوصفه جهازاً عبر لغوي (Translinguistique) يعيد توزيع نظام اللغة (Langue) الذي ينظم العلاقة بين العبارة التواصلية التي تهدف إلى الإعلام المباشر وبين الأنماط التلفظية السابق عليها (Enoncés Antérieurs) والمتزامن معها (Synchroniques)" [71]. فالنص عند هذه الناقدة البلغارية هو أكثر من قول أو كلام، بل إنه بُنْية من العلامات السيميولوجية التي تعيد توزيع اللغة من خلال الكشف عن العلاقة بين الكلمات التواصلية المباشرة منها والسابقة، ونتيجة لذلك يظهر النص على أنه عملية إنتاجية.

إنَّ مفهوم النص عند كريستيفا يتقارب إلى حد كبير مع تعريف بارت حين عَدَّ النص: "نسيجًا دائماً، وبوصفه إنتاجاً، وحجاباً جاهزا" [72]. وبهذا يكون كل من بارت وكريستيفا قد أصابا – في رأينا– الحقيقة لأن النص في نظر هذين الناقديْن هو منتج لعملية التشابك المستمر والانسجام والتماسك التي يقيمها المبدع لكلماته وجمله ومعانيه التي تعطينا– في النهاية– نصاً كما تصنع العنكبوت في نهاية عملها شبكةً من ذاته، وبهذا تأتي بنية النص مُعادلةً لعمل العنكبوت وتأتي شبكتها مُوازيةً للكلمات والجمل والمعاني التي تؤلف النص.

لكن" كريستيفا " تذهب بفكرتها إلى أعلى مستوى حين تنظر إلى النص على أنه إنتاجية (Productivité)، قائلةً بأنَّ للنص توجُهاً مزدوجاً: يظهر الأول في كونه يميل نحو النسق الدال الذي يُنْتَجُ فيه اللسان واللغة في عصرٍ ومجتمعٍ محدديْن، ويتمثل الثاني في ميله نحو المسار الاجتماعي الذي يسهم فيه باعتباره خطاباً تشكل من خلال ملفوظات مأخوذة من نصوص عديدة غير النص الأصلي.

وما جاءت تسمية النصّ الذي يقبل التقاطع مع نصوص أخرى قديمة أو معاصرة بالنص المتناص إلاَّ لأنَّه نصّ تلتقي فيه كتابات سابقة ثم تتوالد منها نصوص معاصرة أو مستقبلية، لتشكل في الأخير زاوية رؤية يستشف من خلالها الأديب معطيات الماضي وأبعاد الحاضر وأفق المستقبل والنصّ المتناصّ إن لم يحقق هذه الثلاثية: الماضي والحاضر والمستقبل، يكون نصّاً عقيماً أو كما قال بارت: "إنّه نصّ بلا ظلّ، لأنَّ النصّ الحقيقيّ في حاجة إلى ظلّه بشكل لازم" [73].

ومن هنا يمكننا القول بأنَّ أيَّ نصٍّ تبادلَ مع مجموعة من نصوص أخرى إنما هونصٌّ جديدٌ قائمٌ بذاته يمكن قراءته من خلال مستويين اثنين هما: النص الظاهر (Phéno-texte)، والنص المولِّد (Géno-texte). ويوضح أنور المرتجي هذيْن المفهومين عند كريستيفا حيث يقول:"عند دراستها للنص، تميز كريستيفا داخله بين مستويين: هناك النص الظاهر (Phéno-texte) والنص المولد (Géno-texte). إنَّ النص الظاهر هو التمظهر اللغوي كما يتراءى في بنية الملفوظ المادي وهو مجال التواصلية. أما في النص المولد فيتعلق الأمر بالعمليات المنطقية التي تفسر السيرورة التي تقطعها الإندلالية (Signifiance)، إنه مجال المكبوتات والمكان الذي توجد فيه الدلائل مستثمرة من طرف الدوافع، باعتباره موضع البنية العميقة"[74]. إن هذا التعريف يُحِيلنا إلى أنَّ النص الظاهر عند كريستيفا باعتباره ظاهرة لغوية في المقام الأول يجب أن نعامله على أساس أنه نسق دال (Signifiant) هدفه التعبير عن مدلول(Signifié)، ولهذا يتعين معالجته وتحليله في إطار سياقه التواصلي الحيوي الذي نشأ في أجوائه وتأثر

بمناخه المعرفي. وهذا ما ذهب إلى تأكيده مطاع الصفدي قائلاً: "لا يمكن تأويل نص إلا باسترجاع السياق اللغوي والبيئي والأنثروبولوجي العام الذي نما وترعرع النص فيه"[75]. أما النص المولد فإنه يتجاوز المظهر اللغوي إلى المستوى العميق في النص، وهذا يعني أنه يهتم بما هو داخل النص من خلال إدراك الصياغة النموذجية للمعنى وتوجيهها وضبطها ليشكل في النهاية بنية مستقلة مجموعها جمل مكونة له.

- **خاتمة:**

مما تقدم عن تاريخ مصطلح "النص" وتطور مفهومه، يمكن أن نسجل النتائج التالية:

1. أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المعنييْن اللغوي والاصطلاحي للفظة "النص" مع وضوح الدلالة أحياناً، وأحيانا أخرى يحتاج منا إلى تدبر معناه واجتهاد في كشفه.
2. إن ما قدمته الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة والمعاصرة، بخصوص مادة "نص" أهم وأجود مما قمته لنا معجمات اللغة الغربية منها والعربية.
3. لمصطلح "النص" معان كثيرة، وهو إشارة إلى كونه يتمتع بمساحة واسعة من الدلالات.
4. عرف مفهوم "النص" تحولا واضحا، حيث انتقل من المعنى البسيط الشائع إلى المعنى المعقد النقدي.

وينتهي بنا الأمر في الأخير إلى القول: أن النص وحدة لغوية كلية مكتملة دلاليا مترابطة الأجزاء وتواصلية في الوقت نفسه، لأنها ذات طابع تعبير أو إبلاغي، فهو يشمل تتابعاً محدوداً من علامات لغوية لها بداية ونهاية، متماسكة في ذاتها يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام نحوي معين، وهذه العلامات يسهم كل منها في فهم ما يليه.

إحالات البحث

1. ابن منظور، لسان العرب – بيروت – دار صادر – ط 1 – 1968 – ج 7 – ص 97.
2. ينظر: المصدر نفسه – ج 7 – ص 97.
3. ينظر: الفيروزبادي، القاموس المحيط – بيروت– مؤسسة الرسالة – ط5– 1416هـ – ج1 – ص816
4. علي الجرجاني، التعريفات– تحقيق: إبراهيم الأبياري– بيروت– دار الكتاب العربي– ط1 – 1984– ج1 – ص 309.
5. ينظر: توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي – تونس – المطبعة الموحدة – ب.ط – 1982 – ص 155.
6. الإمام الشافعي، الرسالة / تحقيق: أحمد محمد شاكر – بيروت – دار الفكر – ط1 – 1990 – ص52.
7. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس– تونس– منشورات الجامعة التونسية – السلسلة السادسة – ع 21 – 1981 – ص 185
8. الجاحظ، البيان والتبيين – تحقيق: عبد السلام محمد هارون– القاهرة – مكتبة الخانجي– ط5 – 1985 – ج 1– ص 75.
9. المصدر نفسه – ج 4 – ص 24.
10. المصدر نفسه – ج 1– ص 144.

11. ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء – تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر – مصر – ط3 – 1967 – ج1 – ص7 – 9.
12. ينظر: ابن طباطبا، عيار الشعر/ تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام – القاهرة – المكتبة التجارية – ب.ط – 1956 – ص 14.
13. جابر عصفور، مفهوم الشعر – بيروت – دار التنوير للطباعة والنشر – ط2 – 1982– ص29.
14. ينظر: قدامة بن جعفر، نقد الشعر – تحقيق عبد المنعم خفاجي–بيروت–دار الكتب العلمية– ب.ط– ب.ت– ص194 – 214
15. المصدر نفسه – ص 17.
16. قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ– تحقيق: محمد محي الدين– القاهرة– مكتبة الخانجي– ب.ط– 1350ه /1932م– ص2.
17. الرماني، النكت في إعجاز القرآن تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام– القاهرة –دار المعارف–ط 2– 1968– ص69.
18. المصدر نفسه – ص 88.
19. الرماني، النكت في إعجاز القرآن – ص 99.
20. الخطابي، بيان إعجاز القرآني–تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام– القاهرة–دار المعارف–ط2–1968–ص23 و24.
21. العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر – تحقيق / علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل – القاهرة – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط 2 – 1952 – ص 55.
22. محمد تحريشي، النقد والإعجاز– دمشق – منشورات اتحاد الكتاب العرب – ب.ط – 2004 – ص66
23. المصدر السابق – ص 52.
24. أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن– تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي– بيروت– دار الجيل – ب.ط – 1991 – ص 163.
25. المصدر نفسه – ص 313.
26. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة – المكتبة التجارية – ط 3 – 1963 – ج 1 – ص 124.
27. إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطوبين العرب واليونان – ص 151 و152.
28. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية – بيروت – عالم الكتب – ط 1– 1985 – ص 134 و135.
29. المرجع نفسه – ص 135.
30. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني / تعليق: محمد رشيد رضا – دمشق – منشورات جامعة البعث – ب.ط – 1989 – ص 55.
31. ينظر: المصدر نفسه – ص 93.
32. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني – ص 293.
33. جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية – بيروت – منشورات دار الآداب – ط1 – 1984 – ص50
34. مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه– القاهرة –دار المعارف–ط3–1989 –ص 215.
35. ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – القاهرة – المطبعة العامرة الشرقية – ط1 – ج1 – ص 3.
36. عبد الملك مرتاض، في نظرية النص – دمشق – مجلة الموقف الأدبي – ب.ط – 1988 – ص 51.
37. المرجع نفسه – ص 48.
38. عبد الملك مرتاض، في نظرية النص – ص 48.

39. المرجع نفسه – ص 47.
40. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص– بيروت– المركز الثقافي العربي– ط 3–1992 – ص119 و120.
41. المرجع نفسه – ص 120.
42. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص – القاهرة – دار المعارف – ط1 – ص 229.
43. أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي – الدار البيضاء – ب.ت – ص 84 – 86.
44. رجاء عيد، القول الشعري: منظورات معاصرة – الإسكندرية – منشأة المعارف – ب.ط – 1995 – ص 48.
45. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية – تونس– المطبعة العربية – ط5 – 1986– ص153
46. مصطفى السعدي، المدخل اللغوي في نقد الشعر "قراءة بنيوية"– الإسكندرية – مطبعة منشأة المعارف – ط2 – ص26.
47.Dictionnaire Robert Collins - Société du Nouveau Littré – Paris – 2002 - p. 235
48. Dictionnaire De Linguistique - Larousse – Paris - 1973 - p. 105
49. ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص – ص 299.
50. فرديناند دوسوسير، دروس في الألسنية العامة / ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر – الجزائر – المؤسسة الجزائرية للطباعة – ب.ط – 1986 – ص 25.
51. المرجع نفسه – ص 32.
52. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية – ص 104.
53. ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية– بيروت– منشورات عويدات– ط1 – 1986– ص 370.
54. Roland Barthes: Le plaisir du texte - Edition Seuil – Paris - 1973 - p 14.
55. Oswald Ducrot et Tzvetan. Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage – Edition Seuil – Paris – 1972 - p 375.
56. Ibid - p 443.
57. أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي – ص 84.
58. المرجع نفسه – ص 86.
59. رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة/ ترجمة وتقديم: جابر عصفور– القاهرة– دار الفكر– ط1– 1991– ص.116
60. Georges Mounin: Dictionnaire de linguistique - P.U.F. – 1975 - p. 23.
61. منذر عياشي، الخطاب الأدبي ولسانيات النص – مجلة البيان – ع 323 – جوان 1997 – ص 8.
62. Roland Barthes: La théorie du texte. Encyclopédie Universalis: http://www.universalis.fr/encyclopedie/theorie-du-texte/
63. رولان بارت، لذة النص – ترجمة: منذر عياشي – مركز الإنماء الحضاري – سورية – ط1– 1992 – ص 109.
64. Edmond Barbotin: Présupposés et requêtes de l'acte de lire , in Qu'est-ce qu'un texte?, op., cit.- Paris - p 117-118.
65. جوليا كريستيفا، علم النص – ترجمة: فريد الزاهي – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – ط2 – 1997 – ص 9.
66. Roland Barthes: La théorie du texte - p 1013.
67. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية / ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنّوز. الدار البيضاء. دار توبقال للنّشر. ط1 . 1988 . ص19.
68. عبد الملك مرتاض، في نظرية النص الأدبي – ص 47.
69. في الشعرية . بيروت . مؤسسة الأبحاث العربية . ط1 . 1987 . ص 18 و19.
70. شفيق البقاعي، مفهوم النص في اللسانيات الحديثة – بيروت – مركز الإنماء العربي – مجلة الفكر العربي – العددان 85 – 86 – 1996 – ص 154.

71. ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي بيروت– المركز الثقافي العربي . ط1 . 1989 . ص19
72. ينظر: رولان بارت، لذة النص – ص 108 و109.
73. المرجع نفسه – ص 37.
74. ينظر: أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي – ص 55.
75. ينظر: استراتيجية التسمية: التأويل وسؤال التراث . مجلة الفكر العربي المعاصر. عدد 31/30 . 1984 . ص4.

مراجع البحث

أ. **الكتب العربية:**

1. إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطوبين العرب واليونان.
2. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – القاهرة – المكتبة التجارية – ط 3 – 1963 – ج 1.
3. ابن طباطبا، عيار الشعر/ تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام – القاهرة – المكتبة التجارية – ب.ط – 1956.
4. ابن قتيبة، الشعر والشعراء – تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر – مصر – ط3 – 1967 – ج 1.
5. ابن منظور، لسان العرب – بيروت – دار صادر – ط 1 – 1968 – ج 7 .
6. أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن– تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي– بيروت– دار الجيل– ب.ط– 1991.
7. استراتيجية التسمية: التأويل وسؤال التراث . مجلة الفكر العربي المعاصر. عدد 31/30 . 1984.
8. الإمام الشافعي، الرسالة / تحقيق: أحمد محمد شاكر – بيروت – دار الفكر – ط 1 – 1990.
9. أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي – الدار البيضاء – ب.ت.
10. بلاغة الخطاب وعلم النص – القاهرة – دار المعارف – ط1.
11. توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي – تونس – المطبعة الموحدة – ب.ط – 1982.
12. جابر عصفور، مفهوم الشعر – بيروت – دار التنوير للطباعة والنشر – ط 2 – 1982.
13. الجاحظ، البيان والتبيين – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – القاهرة – مكتبة الخانجي – ط 5 – 1985 – ج 1.
14. جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية – بيروت – منشورات دار الآداب – ط 1 – 1984.
15. جوليا كريستيفا، علم النص – ترجمة: فريد الزاهي – الدار البيضاء – دار توبقال للنشر – ط2 – 1997.
16. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس– تونس– منشورات الجامعة التونسية – السلسلة السادسة – ع21 – 1981.
17. الخطابي، بيان إعجاز القرآني–تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام – القاهرة– دار المعارف–ط2– 1968.
18. رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة / ترجمة وتقديم: جابر عصفور – القاهرة – دار الفكر– ط1 – 1991.
19. رجاء عيد، القول الشعري: منظورات معاصرة – الإسكندرية – منشأة المعارف – ب.ط – 1995.
20. الرماني، النكت في إعجاز القرآن تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام– القاهرة–دار المعارف– ط2– 1968.
21. رولان بارت، لذة النص – ترجمة: منذر عياشي – مركز الإنماء الحضاري – سورية – ط 1– 1992.
22. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية/ ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنّوز. الدار البيضاء. دار توبقال للنّشر – ط 1 – 1988.
23. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل–القاهرة–المطبعة العامرة الشرقية– ط1– ج1
24. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي . بيروت – المركز الثقافي العربي . ط1 . 1989.

25. شفيق البقاعي، مفهوم النص في اللسانيات الحديثة – بيروت – مركز الإنماء العربي – مجلة الفكر العربي – العددان 85 – 86 – 1996.
26. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – عالم المعرفة – العدد 164 – 1992.
27. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية – تونس – المطبعة العربية – ط 5 – 1986.
28. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية – بيروت–عالم الكتب– ط1– 1985.
29. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية – بيروت – منشورات عويدات – ط1 – 1986.
30. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني/تعليق: محمد رشيد رضا–دمشق–منشورات جامعة البعث–ب.ط– 1989
31. عبد الملك مرتاض، في نظرية النص – دمشق – مجلة الموقف الأدبي – ب.ط – 1988.
32. العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر – تحقيق / علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل – القاهرة – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط 2 – 1952.
33. علي الجرجاني، التعريفات – تحقيق: إبراهيم الأبياري – بيروت – دار الكتاب العربي– ط 1 – 1984 – ج1.
34. فردينان دوسوسير، دروس في الألسنية العامة / ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر – الجزائر – المؤسسة الجزائرية للطباعة – ب.ط–1986
35. في الشعرية . بيروت . مؤسسة الأبحاث العربية . ط1 . 1987.
36. الفيروزبادي، القاموس المحيط – بيروت – مؤسسة الرسالة – ط 5 – 1416هـ – ج 1 .
37. قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ / تحقيق: محمد محي الدين – القاهرة – مكتبة الخانجي– ب.ط – 1350هـ / 1932.
38. قدامة بن جعفر، نقد الشعر– تحقيق عبد المنعم خفاجي – بيروت – دار الكتب العلمية – ب.ط – ب.ت.
39. محمد تحريشي، النقد والإعجاز – دمشق – منشورات اتحاد الكتاب العرب – ب.ط – 2004.
40. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص – بيروت – المركز الثقافي العربي– ط 3–1992.
41. مصطفى السعدي، المدخل اللغوي في نقد الشعر "قراءة بنيوية"– الإسكندرية – مطبعة منشأة المعارف – ط 2 – ب.ت.
42. مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه– القاهرة – دار المعارف– ط 3 – 1989.
43. منذر عياشي، الخطاب الأدبي ولسانيات النص – مجلة البيان – ع 323 – جوان 1997.

ب. <u>الكتب الأجنبية</u>:

1. Dictionnaire De Linguistique - Larousse – Paris – 1973.
2. Dictionnaire Robert Collins - Société du Nouveau Littré – Paris – 2002.
3. Edmond Barbotin: Présupposés et requêtes de l'acte de lire , in Qu'est-ce qu'un texte?, op., cit.,Paris.
4. Georges Mounin - Dictionnaire de la linguistique – P.U.F. – 1975.
5. Oswald Ducrot et Tzvetan. Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage – Edition Seuil – Paris – 1979.
6. Roland Barthes: La théorie du texte. Encyclopédie Universalis: http://www.universalis.fr/encyclopedie/theorie-du-texte/
7. Roland Barthes: Le plaisir du texte - Edition Seuil – Paris – 1973.

❋❋❋